﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء: 67]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لَمّا أثبت إبراهيمُ ﷺ أنَّ معبوداتِهم هذه في حيِّزِ العَدَم، فكانوا لعبادتِها دونها؛ اسْتأنفَ تبكيتَهم لذلك بأعلى كلماتِ التَّحقيرِ الَّتي لا تُقالُ إلّا لما هو في غايةِ القذارة؛ فقال: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾[1].

الأصنامُ الَّتي لا تملكُ النَّفعَ والضَّرّ، هي وعُبّادُها في غاية الحقارة

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أُفٍّ﴾: أفَّ يَؤُفُّ أفًّا: إذا تأفَّفَ من كَرْبٍ أو ضَجَر، ورَجُلٌ أفّافٌ: كثيرُ التَّأفُّف، وأُفٍّ، خفضًا بغير نُون، وأُفٍّ خَفْضًا مع النُّون، وذلك أنَّه صوتٌ، كما تُخفَضُ الأصوات، فيُقال: طاقِ طاق، ومن العرب مَنْ يقول: أفٌّ له، والأفَفُ: الضَّجَرُ[2]، وأُفٍّ: خفضٌ على التَّشبيه بالأصوات، كما يُقالُ: صَهٍ وقهٍ[3]، وأُفٍّ معناه قِلَّة، وتُفّ إتباع، مأخوذٌ من الأفَف، وهي الشَّيءُ القليل[4]، والعربُ تقول: جعل فلانٌ يتأفَّفُ من ريحٍ وجدها: أُفٍّ أفٍّ[5]، وأصلُ هذا نفخُك للشَّيء يسقطُ عليكَ من ترابٍ أو رماد، وللمكان تريد إماطةَ أذى عنه، فقيل لكلِّ مُستَثْقَل[6]، وقوله تعالى: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾؛ أيْ: نتنًا لكم[7] وقُبْحًا لكم[8]، وهو تعبيرٌ عن كُره إبراهيمَ للأصنام واستثقاله لكلِّ مُستَثْقَل[9].

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 443.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (أفّ).
(3) أبو بكر الأنباري، الزّاهر: 1/ 181 - 182.
(4) أبو بكر الأنباري، الزّاهر: 1/ 180، والأزهري، تهذيب اللُّغة: 1/ 172.
(5) الفرّاء، معاني القرآن: 2/ 121.
(6) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 147.
(7) الزَّجاج، معاني القرآن: 3/ 398.
(8) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 42.
(9) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 147.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

احتقارُ عُبّادِ الأصنامِ وآلهتِهم المزيَّفة

عبَّر إبراهيمُ ﷺ عن كُرهه لتلك الآلهةِ المُزيَّفةِ ولعابديها الظّالمين، فقال: أفلا تتدبَّرون ما أنتُم عليه من الضَّلالِ والكفر الَّذي لا يَروجُ إلّا على جاهلٍ ظالمٍ فاجرٍ؟! فأقام عليهم الحُجَّةَ وألزمَهم إيّاها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام: 83][1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ اسْمِ الفعل في صدر الآية:

التَّضجُّرُ من تشبُّثِ الكافرين بباطلِهم بعد وضوحِ الحقِّ لهم

قولُه تعالى: ﴿أُفٍّ﴾ اسْمُ فعلٍ مضارعٍ دالٌّ على الضَّجَر؛ أيْ بمعنَى: أتضجَّر، وهو صَوْتٌ إذا صُوِّتَ به عُلِمَ أنَّ صاحبَه مُتضجِّر، فهو منقولٌ من صورة تنفُّسِ المتضجِّر لضيقِ نفسِه من الغضب فهي لفظةٌ وتُقالُ عند المُستَقْذراتِ من الأشياء، فيُستعارُ ذلك للمكروه من المعاني، فقد أضْجَر إبراهيمَ ما رأى من ثباتِهم على عبادتِها بعد انقطاعِ عُذْرِهم، وبعد وضوحِ الحقِّ وزهوقِ الباطل، فتأفَّفَ بهم[2].

التَّوجيهُ البلاغيُّ للقراءات ﴿أُفٍّ﴾:

المبالغة في رفض الأصنامِ التي يعبدونها من دون الله

قوله تعالى: ﴿أُفٍّ﴾ فيه ثلاثُ قراءات متواترة: ﴿أُفٍّ﴾، و﴿أُفٍّ﴾، و﴿أُفَّ﴾[3]، و﴿أُفٍّ﴾ نكرة بمنزلة غاقٍ وغاقٍ[4]؛ لأنَّها مُنوَّنة، فهي بمعنَى التَّضجُّر، وإذا لم يُنوَّنْ فهو معرفة، والتَّنوين فيه على جهة النَّكرة[5]، و﴿أُفَّ﴾ بالفتح دون تنوين، وهي بمنزلة قولهم: مُدَّ يدَك تعبيرًا عن الغضب، و﴿أُفٍّ﴾: بمنزلة مُدٍّ؛ أيْ هي تأفّفٌ لما يجده

(1) ابن كثير، التَّفسير العظيم: 3/ 174.

(2) ابن عطيَّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 88، والزّمخشري، الكشّاف: 2/ 577، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 104.

(3) الأولى: قراءة نافع وأبو جعفر وحفص عن عاصم بالكسْر والتَّنوين: ﴿أُفٍّ﴾، والثّانية: قراءة ابن كثير، وابن عامر ويعقوب بالفتح دون تنوين: ﴿أُفَّ﴾، والثّالثة: قراءة الباقين بالكسر دون تنوين: ﴿أُفٍّ﴾، يُنظر: ابن الجزري، النشر: 2/ 306، والسَّمين الحلبي، الدُّر المصون: 7/ 342.

(4) غاقٍ: حكاية صوت الغراب، فإن نكَّرتَه نوَّنتَه، ويُقال: سمعت غاقٍ غاقٍ وغاقٍ غاقٍ، ثمَّ سُمِّي الغراب غاقًا، فيُقال: سمعت صوت الغاق، ينظر ابن منظور، لسان العرب: (غوق).

(5) الزَّجّاج، معاني القرآن: 3/ 234.

من أمر يُزعجُه، ومعناه: يقول: أُفٍّ أفٍّ[1]، ولَمَّا كان إبراهيمُ عليه السلام أُمَّةً وحدَه، فقد كان رفضُه للباطل ليس كمثله رفضُ غيرِه له: كان الإبلاغُ في رفضِ تلك الأصنام وعبادتها وذمّ ذلك كله وذم عابديها بداخلِ النَّفس والحِسّ؛ على ما تُصوِّره تلك القراءاتُ الثلاثُ: صورةً لذلك، والله أعلم بسر كتابه وما دلَّ عليه القيدُ في الآية السابقة في قولِه: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾؛ مِن حقارة العابد والمعبود والعبادة: صرَّحَت به هاتيك الآية. فبلاغة القراءات هنا في جمع كلّ أنواع التضجر بشتى صوره من إبراهيم عليه السلام لهذه المعبودات ولِمَن عبدوهم.

دلالةُ الخطاب في ﴿لَّكُمۡ﴾:

التَّضجّرُ من عَبَدةِ الأصنام

دلَّت اللّام في ﴿لَّكُمۡ﴾ مع كافِ الخطاب للجمع على بيان المُتأفَّفِ بسببِه؛ أيْ: أفٌّ لأجْلِكم أيّها العابدون لتلك الأصنام الصَّمّاءِ البَكْماء الَّتي لا تنفعُ ولا تضرّ[2]، وهذا مبالغةٌ في التأفُّف من الأصنام وعبادتها؛ لأنّ التّأفف لا يتعلّق بالأشخاص في الأصل.

دلالةُ اللّام في ﴿وَلِمَا﴾:

الاستقلالُ بالذَّمِّ دليلُ كمالِ رفضِ المذمومِ

اللّامُ في ﴿وَلِمَا﴾ للاخْتصاص؛ أيْ: أفٌّ لتلك الأصنام المعبودةِ بدون وجه حقٍّ من أولئك المُستَقْذَرين، فهو تأفّفٌ معنويٌّ من أحجارِهم ومنهم، لقولِ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ [التوبة: 28][3]، وذِكْرُ اللّام يُشعِر باستقلال تسلُّط معنى قوله: ﴿أُفّٖ﴾ لـ (ما تعبدون)؛ لأنَّ المقصود كمالُ ذمِّ العابد والمعبود والعبادة جميعًا؛ لأنَّ الذّامَّ هنا أُمَّةٌ وحدَه.

(1) الفرّاء، معاني القرآن: 2/ 121، وأبو بكر الأنباري، الزّاهر: 1/ 181 - 182.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 450.
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 4890.

نكتةُ التَّعبير بـ (ما) وعطفِها على ما قبلَها:

الأصنـامُ وعابدوها بَلَغوا غايةَ النَّجاسة والقَذارة

(ما) في قوله: ﴿وَلِمَا﴾ اسْمٌ موصولٌ بمعنَى (الَّذين) للمبالغة في التَّأفّفِ والتَّضجُّر من المعبودات، بما فيها مِن إبهام يُشعر بغاية حقارة ما تصدق عليه (ما)؛ كأنَّه والعدم سواء؛ فهي حجارةٌ لا تنفعُ شيئًا ولا تضرُّ، وعُطِفتْ على ما قبلَها للاشْتراك في معنَى القذارة المُستَوْعِبِ للمعبوداتِ وعابديها.

إيثارُ الفعل ﴿تَعْبُدُونَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

الاستمرارُ في عبادةِ غيرِ الله غايةُ الكِبْر والضَّلال

أتى بيانُ النَّظمِ الكريم بالفعل ﴿تَعْبُدُونَ﴾ وبصيغة المضارع للدَّلالةِ على انصراف قوم إبراهيم إلى عبادة غير الله، وأصرُّوا على الكفر رغم أنها لا تنفع ولا تضر، ولبيان اسْتمرارِهم على ما هم عليه من الضَّلال والكِبْرِ رغم تلاشي كلِّ حيلةٍ لهم تُنجدُهم عمّا هم عليه من الكُفر، وبُزوغِ كلِّ أسبابِ ظهورِ الحقِّ وانْبلاجه في دعوةِ إبراهيمَ ﷺ، وبالجملة: فإنَّ ما قيل في نظير ذلك في الآية السابقة في قوله: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ﴾ يُقال هنا.

بلاغةُ الاسْتفهام في الآية:

مع شدة وضوح الجُرْمِ يكونُ علوُّ الإنكار

الاستفهامُ في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ لإنكار الوقوع؛ أيْ: بمعنَى النَّفي مع التَّوبيخ، والتَّحريضِ على التَّفكيرِ والتَّعقُّل[1]؛ لأنَّ هذا مُؤسَّسٌ على تنزيلهم الأصنام منزلةَ الإله الحقِّ، وذلك لا يكون من عاقلٍ أبدًا.

سرُّ إيثار الفعل ﴿تَعْقِلُونَ﴾ مادَّة وصيغةً:

العقلُ أداةُ التَّفكيرِ الرَّشيد، فإذا عُطِّلَ ضلَّ صاحبُه وتاه

لَمّا تسبَّبَ عن فعلِهم هذا وضوحُ أنَّه لا يُقِرُّ به عاقل، أنكرَ عليهم ووبَّخهم - كما تقدَّم - على ترك التَّفكيرِ باستخدام آلتِه وهو العقل، فكان في ذلك تنبيهٌ لهم على أنَّ فسادَ ما هم عليه يُدرَكُ ببديهةِ العقل، وأين أنتُم من استعمال عقولكم وتجديد تسليطها على

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 9/ 4890.

الأشياء وفيما يعود عليكم بالسَّدادِ والرَّشاد، وأنتم شيوخٌ قد مرَّت بكم الدُّهور وحَنكتْكُمُ التَّجارب[1] ؟!

نكتةُ إظهارِ اسْم الجلالة ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾:

قوله تعالى: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ أظهرَ اسْم الجلالة لزيادةِ البيانِ ولمزيد اسْتقباحِ وتشنيعِ عبادةِ غيره، وما فعله إبراهيمُ ﷺ لم يكن إلّا لإظهار وحدانيَّة اللّٰه، وانتصارًا لدينه[2]، ولكمال غيابِ جلاله وجماله تعالى من قلوب القوم؛ فكانوا فقيرينَ إلى استحضارِ ذلك؛ إحسانًا إليهم، ورحمةً بهم، وذلك يتحقق بإعادة اسم الجلالة بلفظه دون ضميره.

تشنيعُ عبادةِ غير الله

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

(أفٍّ) و(أتضجَّرُ):

أفّ: صوتٌ من الأصوات، وفيه لغاتٌ عديدة، والأَفَفُ: الضَّجَرُ، وأفّ: مأخوذٌ من الأَفَف، وهي الشَّيءُ القليل، وأفّ: معناه القِلَّة[3]، والعرب تقول: جعل فلان يتأفَّف من ريحٍ وجدها أُفٍّ أفٍّ[4]، وأصله: نفخُك للشَّيء يسقطُ عليكَ من تراب أو رماد، وللمكان تريد إماطةَ أذًى عنه، فقيل لكلِّ مُستَثقَلٍ مُتضجَّرٍ منه[5]، والضَّجَرُ: من ضَجِرَ يَضْجَرُ ضَجَرًا، وهو أصلٌ يدلُّ على اغْتمام بكلام، وضَجِرَتِ النّاقةُ: كثُرَ رُغاؤها، يُقال: رجُلٌ ضَجِرٌ وضَجُورٌ؛ أَيْ: قلِقٌ، فالضَّجَر: القَلَقُ من الغمّ، وأضْجَرَه فلان: سبَّب له القلق، فهو مُضْجَر، وتضجَّر: تبرَّم، فهو ضَجِرٌ ومُتضجِّر[6].

أفٍّ كلُّ مُسْتَثقَلٍ ولو كان قليلًا، والتَّضجُّر تبرُّمٌ مع قَلَقٍ من غمٍّ

العقل والفهم:

العقلُ: هو القوَّةُ المُتهيِّئةُ لقَبول العلم، ويُقال للعِلم الَّذي يستفيدُه

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 443.
(2) الآلوسي، روح البيان: 9/ 65، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 17/ 105.
(3) أبو بكر الأنباري، الزّاهر: 1/ 180، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (أفّ).
(4) الفرّاء، معاني القرآن: 2/ 121.
(5) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 147.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والفيروزآبادي، القاموس المحيط: (ضجر).

العـقـلُ أوسـعُ مـــدلـــولًا مـن الفَهْم، ومَن لا عقلَ له سديدًا لا فهمَ له رشيدًا

الإنسانُ بتلك القوَّة: عقلٌ، وهو العلمُ الأوَّلُ الَّذي يزجُرُ عن القبائح، وكلُّ مَنْ كان زاجرُه أقوى كان أعقل، والعقلُ يمنع صاحبَه عن الوقوعِ في القبيح ويكون سببَ هدايته، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: 43]، وهو من قولك: عقلَ البعيرَ إذا شدَّه فمَنَعَه من أن يثور، ولهذا لا يُوصَفُ اللّٰهُ به، والعَقْلُ: الحفظ، يُقال: أعْقَلْتُ دراهمي؛ أيْ: حفظتُها، ومنه: العقلُ يحفظُ صاحبَه من القبائح، ويُقال: عَقَلَ الصَّبيُّ إذا وجدَ له من المعارف ما يفارقُ به حدودَ الصِّبيان، وخلافُ العقلِ الحُمق، والبُعدُ عن الحقِّ، قال تعالى في ذمِّ الكافرين: ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: 171][1].

والفَهْمُ: تصوُّرُ المعنَى من لفظِ المخاطِب، والفَهْمُ: إدراكٌ خفيٌّ دقيق، وهو أخصُّ من العلم، والفَهْمُ: هو العلمُ بمعاني الكلام عند سماعه خاصَّة؛ ولهذا يُقال: فلانٌ سيّئ الفَهْم، إذا كان بطيءَ العلم بمعنى ما يسمع، والفهمُ لا يُستعملُ إلّا في الكلام، ويمكن استعمالُه في غيره كالإشارة؛ تقول: فهمتُ ما قلتَ، وفهمتُ ما أشرتَ به إليّ[2].

(1) العسكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 366 - 367، والرّاغب، المفردات: (عقل).
(2) العسكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 414، والكفويّ، الكلّيّات: 3/ 357.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»